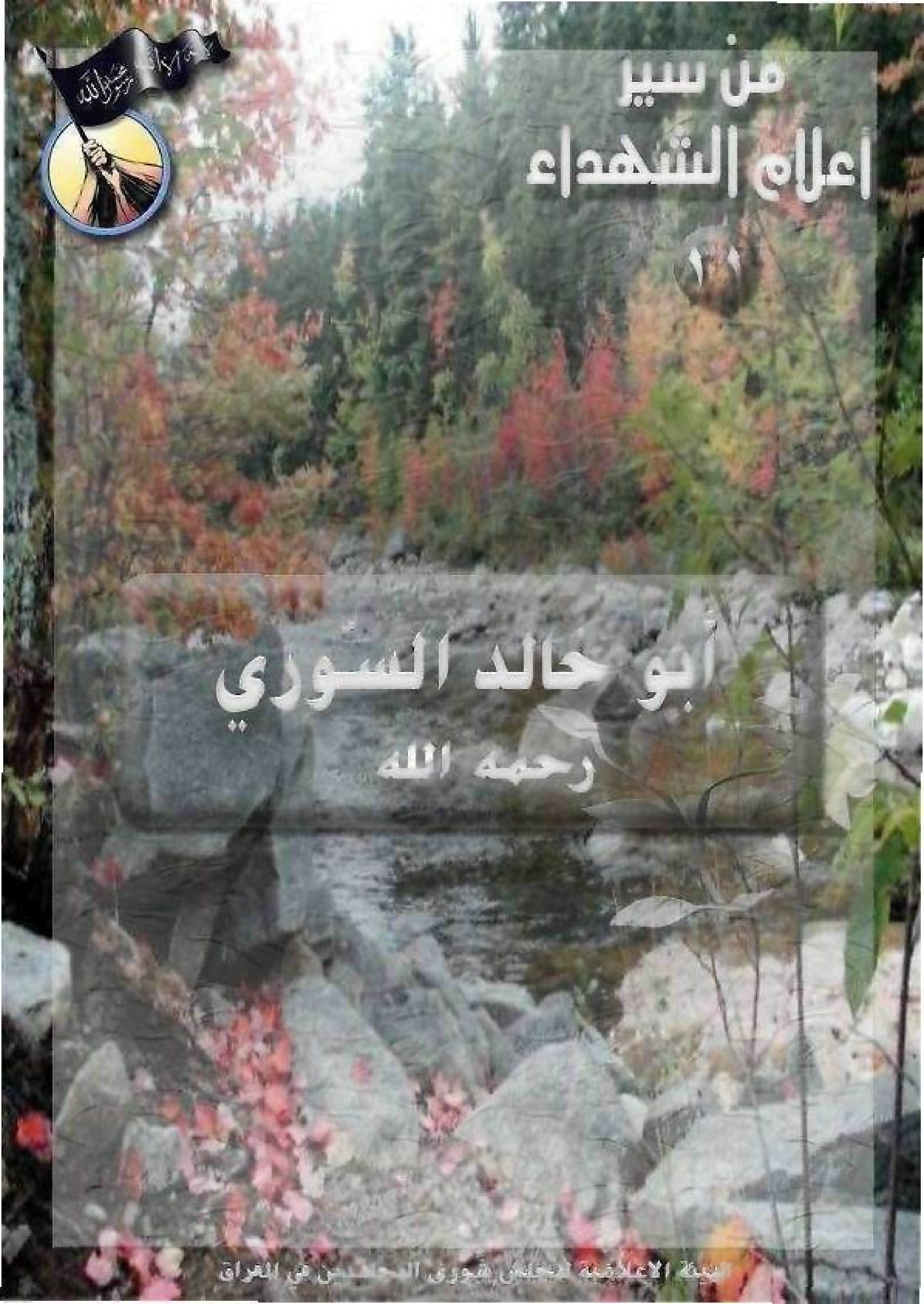

من سير أعلام الشهداء

١٠

أبو خالد السوري

رحمه الله

الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

(أبو خالد السوري)

هادئٌ أديبٌ، وقورٌ حصيف، إذا علمَ عمل، سمّاع مطْواع، رحمه الله أبا خالد الفلسطينيّ، نعم فلسطينيٌ فهو من سُكان مخيم حطّين بدمشق من أصل فلسطيني، لكنه وكأبناء جيله وُلدوا في الشّتات وعاشوا على حُلم العزّة والتّحرير، لكن أبا خالد كان من أولئك النّفر القليل الذين تربّوا على منهج السّلف، وعلى سّنة رسول الله عقيدةً ومنهجاً.

أقْبلَ أبو خالد مع ذلك الرّكب المَيمون، ركْب أبي خبّاب، ومع الفارس المقدام والبطل الصّنديد، والمُقاتل المجرّب أبي حسن؛ ومع أنّ أبا حسن أكبرُ سناً من أبي خالد، إلاّ أنّه حسنةٌ من حسناته، فلمّا استُشْهد أبو خالد، رأيتُ أبا حسن كأنّه فَقدَ الدّنيا وما عليها، كان أستاذهُ وشيخه وصديقُه، وموضعُ سرّه ونصحه، ولذا سكبَ عليه الدّموع، وغمَسَ نفسه في العدوّ مراراً، رجاءَ أن يلحق بصاحبه لكن حكمة الله غالبة.

جاءَ أبو خالد وجلَس في بيت الشّهيد أبي عمر، وأقْبل على إخوانه نصحاً وإرشاداً، ثم أخذَ دورةً مقتضبةً في المتفجرات والتّشريك، وكان أبو خالد قَدم لعمل إداريّ ما، لكنّه فاتحني برغبته الشّديدة في عمل استشهاديّ، وذلك بعدما استقرَّ في قلبه وعقْله أنَّ النّكاية به كبيرة، وأنَّ الميدان يُثْبت أنّها الصّوت المسموع الذي يصمُّ آذان العدوّ، فلا يستطيعونَ لها كتماناً، ولا لأثارها محواً، لكنّ أبا خالد حمّلني حملاً تنوءُ الجبال بحَمْله، قال:" **أنا أضَعُ هذا الأمر في رقَبتك، بحيث يكونُ الهدفُ فيه نكايةٌ للعدوّ، لا يمكنُ تنفيذها بغير ذلك**".

ومضى أبو خالد يُعدّ الرّاحلة ويتجهّز للسّفر، أقْبلَ على ربّه وتغيّرت ملامحُ الرّجُل، فصار وجهُه يُضيء كأنّه قطْعة قَمر أو بريق فضّة، وعينيه تُشعُّ بريقاً دافئاً وضياءاً، تُقسم لو رأيته أنّ للرّجل سراً مع ربّه أو عبادةً خاصة، أو أنّه يُقبلُ على أمر هيّأه له مَولاه، وكيف لا والرّجُل جعل أنيسَهُ وجليسهُ كتابَ الله، يناجي مولاه، يطلُب منه التّوفيق والسّداد، ويرجو منهُ الثّبات عند اللّقاء.

وكان البيتُ مشحوناً بالشّباب المهاجرين، فطلب منّي رجاءً أن يذهب إلى بيت يستطيع فيه الاختلاءَ بنفسه، فالوقتُ قصيرٌ والعبءُ ثقيل، فوعدْته إن تيسّر لي ذلك، ثمّ عُدْت بعدما اجتهدتُ فاعتذرتُ له قائلاً: "يا أخي، هذه طاقتُنا وطلبُك حقّ لكن اعذُرني"، وعذَرَنا الرّجل ومضى يُمهّد الطّريق لرحلتة إلى مولاه، ويا لها من رحلة، ويا لها من أوقات، جاءنا أمرُ التنفيذ على هدف مهمّ وطاغوت مجرم.

كان الهدفُ بيتاً يأتي إليه جنرالٌ كبير من الـ"سي آي أي"، ويكونُ فيه عددٌ من الجواسيس، وحينما يأتي تكونُ معه حراسةٌ مشدّدة، وتمَّ رصدُ البيت وتحديدُ أسلوب العمل.

وكان اجتهادُ الإخوة نسْف البيت بمن فيه من أمريكان وعملاء ومعدات ومستندات، وجهّز الإخوة لذلك سيّارة مفخّخة، وكان الهدف وحسْب الاستطلاع يأتي إلى البيت تقريباً يومياً ويجلس ساعةً واحدة في البيت وينصرف، ويكون ذلك حسْبَ مزاجه فليس له ميعادٌ معين على الأرجح.

فتهيّأ أبو خالد، وتهيّأ معه إخوانُه بمجموعة الرّصد، وذهبْنا في اليوم المحدّد، وانتظرنا الهدف من السّاعة الثّامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، آخرُ موعد لمجيئه ولكنّه لم يأت. ذهبنا في اليوم الثاني ونفسُ الأمر لم يأت، فقررْتُ توقيف العمليّة حتى حين، لكن جاءت الأوامرُ بالاستمرار في المُتابعة والتربّص بالهدف، وفي حالة جاهزيّة كاملة، بمعنى أن يبقى الأخُ الاستشهاديّ ومجموعةُ الرّصد والسيّارة في منْطقة الهدَف من الساعة الثّامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، وبالفعْل ذهبنا في اليوم الثالث وانتظرنا و لم يأت الهدف، ورأيتُ أبا خالد قدْ بدا عليه التّعب، وكنتُ أتألّم جداً وأتعجّب من صبْره وجلَده.

فالرجُل ينتظرُ في أية لحظة تأتي مجموعةُ الرّصد وتقول له: بسم الله انطلقْ، فهو في كل لحظة يعيشُ مع الموت وهذا شديد. حتى نحنُ مجموعة التّرصّد تعبْنا من الانتظار، لا لشيء إلاّ لأننا في حالة جاهزية قُصْوى وشدّ أعصاب وانتباه كامل، نسألُ الله الأجْرَ والثّواب. وفي نهاية اليوم الثّالث تذكّرْت قوْلَ النّبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم، قال رسول الله ﷺ:

"رباطُ يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامُه، وإنْ مات جَرى عليه عَملُه الـذي يعملـه، وأُجْري عليه رزْقه، وأمنَ الفتّان".

فذهبتُ إلى أبي خالد قائلاً: يا أبا خالد؛ أبْشر، أبى الله إلاّ أن يرزُقك أجْر الرّبـاط وأجْـر الشّهادة، قال رسول الله ﷺ ...، وذكرْتُ له الحديث، فوالله لقَد رأيتُ البشْر يطـيرُ مـن وجه الرّجُل ويتهلّل كأنما سُقْت إليه كنـزاً مفقوداً، وفرح بالحديث جداً، مع أنّ الرّجـل كان يُعلّمه ويحفّظه، لكنّني ذكّرته به في موضع هو في أمسِّ الحاجة إليه. ولهـذا شـرّع الله النّصيحة للعالم والمتعلّم قال تعالى **{وذكِّر فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين}** فذكّر غيرُ علّم.

وبعد أسبوع من المراقبة علمْنا أنّ الهدف لم يعُد يأت، وغيَّر مكانه إلى موضع مجهـول ولله الحمدُ المنّة على كل حال.

تمَّ تغييرُ الهدف، وقد تمَّ رصدُ أول مركز شُرطة يُضرَب في العراق، وكـان بـؤرةَ فـساد وإفساد، حيثُ يوجد في منطقة تشتهرُ بسَبِّ أمّنا عائشة رضي الله عنها جهاراً نهاراً، ناهيك عن الشّيخين أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما.

وكان ذلك مركزَ شُرطة مدينة الصّدر، والموجود بحي جميلة فتمَّ رصدُ أكثـرَ مـن مائـة وخمسين حقيراً، ينتظمونَ في طوابير في ساحة المرْكز السّاعة الثّامنة صباحاً، وتمّ تحديد يوم الخميس للتنفيذ، فجاء لي أحدُ الإخوة يقول أَجِّل الموضوع ليوم السبت، لأنَّ يوم الخميس يكون العددُ قليلاً، وكانَ ذلك بحضور أبي خالد فقلتُ للأخ "لقد عزمْنا علـى أمـر والله يرزقنا، ثمَّ إنّ الغزو يوم الخميس جاء به أثرٌ". وبالفعل ذهبْنا للهدف، وقبْل اقتراب السّيارة من الهدف، ذهبْت لأتأكد من عدد الموجودين منه، فوجدتُ العدوّ ضعْفَ ما كان عليـه، وأنّهم اجتمعوا في هذا اليوم لقبْض الرّواتب، وكُنت قلتُ لأبي خالد "إذا وصلْتَ انتظر حتى آتي إليك وأقول ادخل"، فكأنّه لم يفْهم عليّ، وبينما أنا أمام مركز الرّدة، إذ بمُرافقي مـن الإخوة يشيرُ إلي ويجري نحوي "تعال تعال"، حتى لقد لفَت إلينا الانتباه.

فجئت إليه أقول "مالَكَ فضَحْتنا" فقال: "الأخُ أمامك ذاهبٌ الى المركز اُنْظر"، فوجدتُ أبا خالد انطلق نحو المركز بهدوئه المُعتاد، وكأنّه في نزهة مع أهله وأولاده، فلمّـا رآني أمـام المركز ذهَبَ ودارَ دورةً كبيرة ثم عاد إليه، وكنتُ قد رأيته متجهاً نحو الباب بادئ الأمـر،

فلمّا ذهبْتُ بعيداً لم أسمع الصّوت، فأصابني همٌّ وغمٌّ كبيرين لا يعلمُ بهما إلاّ الله، وكان يقودُ السّيارة، الفارسُ المجهول والبطلُ الصّنديد سابقُ الذّكر، فخشينا، أن تكونَ السّيارة لم تنفجر، أو أنَّ الأخ قُتل قبل التنفيذ أو قُبضَ عليه أو ...

فقلت للأخ "ارجع إلى المركز"؛ فقال : انتظر "شويّة"• ، ومن فرط توتري قلتُ: "ارجع وليكُنْ ما يكون، وحتّى نتدارك الأمر، فالأخُ يعرفُ عدّة بُيوت لا بُدَّ من إخلائها إذا حصل مكروه، وبينما نحن في الطّريق إلى المركز، رأيْتُ كلّ شيء حولي يرقُص إثْر انفجار ضخم هزَّ وانتزع كلّ ما حولَه، فجَعل تلك السّاحة المشؤومة بمن فيها كأنّها تنّور أو كأنّها فوهة بركان.

وعلمْت من مصادرنا الخاصّة بعد ذلك، أنّ عدد القتلى من الشّرطة بلغ مائةً وستين قتيلاً غير الجرحى، ولم يُصَبْ أحدٌ من المدنيين، لأنَّ الأخ بارك الله فيه فجَّر سيارته داخل الساحة تماماً في وسَطهم، وعلى الرّغم أنَّ الحراسة أمطرتْه بوابل من الرّصاص، إلاّ أنّها كانت عليه برداً وسلاماً، فتابَع سيْره ونفّذَ هدفه، فرَحْمة الله على أبي خالد، وأسألُ الله أن يجمعنا به في جنّة صدْق عند مليك مُقتدر، وأسألُ الله أن يخلُفَه خيراً في زوجته وأولاده الثّلاثة، فالله لا يُضيّع أبداً أهل الشّهيد وهذا مُلامَسٌ ومجرّب، ومؤكد فهُم بعدَه في الغالب أحسَنُ حالاً في الدّنيا من أيام عائلهم، فما ظنّك بربّ ضحّى لدينه مولاه.

وكان الشّهيد قد تَرك معي رسالة لأهله، وأوصاني أن تكتُبَ أهلي أيضاً رسالة لزوجته تذكّرها فيه بالله، وأنّ الله لن يضيّعها، وأنّ مقاليدَ العباد بيده، قائلاً : **"زوجتي صاحبة فضْل ودينْ، لكنّ الزّوج له مكانٌ، وقدْ كان لى عنْدها مكانةٌ أخافُ على دينها أن تقولَ ما يُحبَط به عملَها لشدّة حبّها لي"**؛ فوعدتُه ذلك، والله يحفَظ أعراضَنا وأوْلادنا من كلّ مكروه وسوء .

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر

• في اللّهجة العراقية تعني: قليلا.